بسم الله الرحمن الرحيم

خطبة الجمعة 20-5-2011م **الشيخ الطبيب محمد خير الشعَّال**

((أخلاقيات الأزمات))

((الجزء الخامس))

الحمد لله..الحمد لله ثم الحمد لله..

الحمد لله نحمده، ونستعين به ونستهديه ونسترشده، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فهو المهتد، ومن يضلل فلن تجد له ولياً مرشداً.

وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله، وصفيه وخليله، خير نبي اجتباه، وهدى ورحمة للعالمين أرسله.

أرسله ربنا بالهدى ودين الحق، ليظهره على الدين كله، ولو كَرِه الكافرون، ولو كَره المشركون، ولو كَره مَن كَرِه، اللهم صلّ على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه وسلم.

أما بعد.. فيا عباد الله: أوصيكم ونفسي بتقوى الله تعالى، فإن تقوى الله هي العدة لنا في الدنيا وفي الآخرة، وإن الله كتب العاقبة للمتقين فقال: ﴿ . .إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ [هود:49] وقال تعالى: ﴿ . .وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَى ﴾ [طه:132] فإنه من فارَق التقوى فارقه التوفيق في الدنيا والآخرة.

ثم أستفتح بالذي هو خير:

قال الله تعالى: ﴿ قَدْ جَاءَكُمْ بَصَائِرُ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ عَمِيَ فَعَلَيْهَا وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ ﴾ [الأنعام:104].

وقال سبحانه: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ بُرْهَانٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُبِينًا * فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَاعْتَصَمُوا بِهِ فَسَيُدْخِلُهُمْ فِي رَحْمَةٍ مِنْهُ وَفَضْلٍ وَيَهْدِيهِمْ إِلَيْهِ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا ﴾ [النساء:174-175]

وقال سبحانه: ﴿ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ * يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ [المائدة:15-16]

قال ابن كثير في تفسيره:

(أخبر الله تعالى عن القرآن العظيم الذي أنزله على نبيه الكريم أنه: ﴿يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ﴾ أي: طرق النجاة والسلامة ومناهج الاستقامة،....وينجيهم من المهالك، ويوضح لهم أَبْيَن المسالك، فيصرف عنهم المحذور، ويحصل لهم أنجَبَ الأمور، وينفي عنهم الضلالة، ويرشدهم إلى أقوَم حالة).

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((مَثَلُ المؤمنين في تَوَادِّهم وتراحُمهم وتعاطُفهم: مثلُ الجسد، إذا اشتكى منه عضو تَدَاعَى له سائرُ الجسد بالسَّهَرِ والحُمّى)) [البخاري ومسلم].

وفي رواية: ((كرجل واحد، إن اشتكت عينُهُ اشتكى كُلُّه، وإن اشتكى رأسُهُ اشتكى كُلُّه)) [مسلم].

عنوان خطبة اليوم:

(أخلاقيات الأزمات –5–).

سبق –أيها الإخوة– أن الأزمات عادةً ما تكشف المعدن النفيس للناس، وتميز الخبيث من الطيب، ولئن كنا مدعوين للتحلي بمكارم الأخلاق والتخلي عن مساوئها في الأوقات عامةً، فنحن إلى هذا التحلي والتخلي في الأزمات أشدُّ حاجة وعرضت الخطبة الماضية لأخلاق ثمانية في الأزمات وهي:

عدم الهلع – الأمانة – التراحم – التكافل – التثبت – الأمل – مراعاة حدود الشرع في الدماء – حفظ الكلمة...

وتعرض خطبة اليوم لخلقٍ تاسع مهم جداً في الحياة عامة وفي الأزمات خاصةإنه:

((الثقة بموعود الله))

أيها الإخوة: هل تعلمون أحداً أصدقُ من الله حديثاً، أم هل تعلمون أحداً أصدق من الله قيلاً، ﴿قُلْ صَدَقَ اللَّهُ فَاتَّبِعُوا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [آل عمران:95] ﴿لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا فَجَعَلَ مِنْ دُونِ ذَلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا﴾ [الفتح:27]

إن الله تعالى أنزل هذا الدِّين، وهو جلَّ جلاله جعل عباده فريقين، فمؤمنٌ ينتظر السعادة وفاجرٌ يسعى إلى الشقاوة، وهو جلَّ جلاله وعد بنصرة دينه وإعلاء كلمته وإعزاز الحق وأهله.

قال تعالى: ﴿ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ﴾ [التوبة:33] **وفي آية أخرى:** ﴿ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ﴾ [الصف:8] ﴿ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا ﴾ [الفتح:27].

بينما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم مع صحابته الكرام يحفرون الخندق استعداداً لغزوة الأحزاب، إذ جمعت لهم قريش جموعها من العرب وجاءت بجيشٍ عرمرمٍ فيه عشرةُ آلاف مقاتل، ما مرت بحيٍّ من أحياء العرب إلا استثارته ودعته للخروج معها حَمِيَّة وعصبية جاهلية.

يقول سلمان الفارسي رضي الله عنه:

ضربتُ في ناحية من الخندق، فغَلُظت عليَّ صخرة، ورسول الله صلى الله عليه وسلم قريبٌ مني، فلما رآني أضرب ورأى شدة المكان عليّ، نزل فأخذ المِعول من يدي، فضرب ضربة لَمَعَتْ تحت المعول برقةٌ، قال: ثم ضرب به ضربةً أخرى فلمعت تحته برقةٌ أخرى، قال: ثم ضرب به الثالثة، فلمعت تحته برقةٌ أخرى.

قال: قلتُ بأبي أنت وأمي يا رسول الله ما هذا الذي رأيت لمعَ تحت المعول وأنت تضرب؟

قال: أوقد رأيت ذلك يا سلمان؟ قال: نعم .

قال: أما الأولى فإن الله تعالى قد فتح عليّ بها اليمن، وأما الثانية: فإن الله فتح عليَّ بها الشام والمغرب، وأما الثالثة: فإن الله عليَّ بها المشرق.

يومها قال اليهود والمنافقون: غن محمداً يعدُ أصحابه بملك كسرى وقيصر، وإن أحدهم لا يأمن على نفسه ليقضي حاجته، وإن أحدهم لا يجدُ الطعام يَطْعَمُ.

لكنها ثقة المؤمن أيها الإخوة بموعود الله ﴿ وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ *إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنْصُورُونَ *وَإِنَّ جُنْدَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ * ﴾ [الصافات:171-173]

ففي أحلك المواقف وأشدها لا يتزعزع يقين المؤمن بنصرة الله للحق ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ * إِنَّ فِي هَذَا لَبَلَاغًا لِقَوْمٍ عَابِدِينَ﴾ [الأنبياء:105-106]. ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [النور:55]

ويقول أبو هريرة رضي الله عنه حين فتحت هذه الأمصار:

(افتتحوا ما بدا لكم، فوالذي نفسُ أبا هريرة بيده ما افتتحتم من مدينة ولا تفتتحونها إلى يوم القيامة، إلا وقد أعطى الله سبحانه محمداً مفاتيحها قبل ذلك).

وصدق الله وعده وأنجز للمؤمنين عهده وصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((إنَّ الله زَوَى لِي الأرضَ، فرأيتُ مشارقها ومغاربها، وإن أُمَّتي سيبلغ ملكُها ما زُوِيَ لي منها)) [مسلم]

وفي رواية: **((لَيَبْلُغَنَّ هَذَا الْأَمْرُ مَا بَلَغَ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَلَا يَتْرُكُ اللَّهُ بَيْتَ مَدَرٍ وَلَا وَبَرٍ إِلَّا أَدْخَلَهُ اللَّهُ هَذَا الدِّينَ بِعِزِّ عَزِيزٍ أَوْ بِذُلِّ ذَلِيلٍ عِزًّا يُعِزُّ اللَّهُ بِهِ الْإِسْلَامَ وَذُلًّا يُذِلُّ اللَّهُ بِهِ الْكُفْرَ))** [أحمد والحاكم والبيهقي]

فيا أيها الإخوة:

مهما طافت بالمؤمن أزمات، ومهما حامت حوله شِدَّات، ومهما سعت نحوه البليات فإنه محفوف بعناية الله، واثقٌ بوعد الله له ما دام على الحق بأن العاقبة للتقوى وبأن العاقبة للمتقين وبأن الله غالبٌ على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون.

(رأى الباطل الحقَّ يوما، **فقال الباطل**: أنا أعلى منك رأساً.**فقال الحق**: أنا أثبتُ منك قدماً، **قال الباطل**: أن أقوى منك. **قال الحق**: أنا أبقى منك. **قال الباطلُ**: أنا معي الأقوياء والمترفون. **قال الحق**: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ أَكَابِرَ مُجْرِمِيهَا لِيَمْكُرُوا فِيهَا وَمَا يَمْكُرُونَ إِلَّا بِأَنْفُسِهِمْ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾. **قال الباطل**: أستطيع أن أقتلك الآن. **قال الحق**: ولكن أولادي سيقتلونك ولو بعد حين).

يا أيها الإخوة:

الثقة بالله وبموعوده تذكرنا بحديث **رسول الله صلى الله عليه وسلم**: ((**لَا يَقْضِي لِلْمُؤْمِنِ قَضَاءً إِلَّا كَانَ خَيْرًا لَهُ**)) [أحمد].

وتذكرنا بقول الله تعالى: ﴿وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة:216]

وبقوله جلَّ جلاله: ﴿سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا﴾ [الطلاق:7]

وبحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((**عَجَبًا لِأَمْرِ الْمُؤْمِنِ إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ خَيْرٌ وَلَيْسَ ذَاكَ لِأَحَدٍ إِلَّا لِلْمُؤْمِنِ إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَّاءُ شَكَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَّاءُ صَبَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ**)) [مسلم]

والحمد لله رب العالمين